

## الفصل الثامن عشر

وقال الشيخ ذات ليلة لخاصّته مقالته لهم في العام الماضي، وآذَنهم بأنّه سيستعد للحج وبأن من شاء منهم أن يصحبه فليعد للسفر الطويل عدته، وتقدم إليهم أن يؤدّنوا في الفقراء وأوساط الناس بأنّ عليه نفقة من أراد منهم أن يحج بيت الله ولم يجد ما ينفق، ثم التفت إلى الحاج مسعود وقال ضاحكًا: أما أنت يا مسعود فقاعد هذا العام فقد أتممت حجك السبع. قال مسعود وقد ظهر على وجهه غضب شديد لم يلبث أن استحال إلى حنان رحيم انهلت له دموعه حتى بللت لحيته الكثّة — قال مسعود: أغاضب أنت عليّ يا سيدنا؟ قال الشيخ وهو يغرق في الضحك: غفر الله لمسعود! غفر الله لمسعود! غفر الله لمسعود! قوم يضحكون، وقوم يبكون، إنما قصدت إلى دعابتك يا مسعود، ولو أردت الجد لما تحدثت إليك.

هناك تهلل وجه مسعود ونهض مسرعًا فأكب على رأس الشيخ يقبله وهو يقول: لقد كنت نذرت لله ألا يحج شيخنا الكبير إلا صحبته، فلما انتقل إلى جوار الله جدّدت النذر ألا تحج إلا صحبتك، لا يمنعني من ذلك إلا أن أبلغ أرذل العمر وتعجز قدماي عن حملي. فأعاد الشيخ مقالته: غفر الله لمسعود! ثم قال في صوت ملؤه الجد: فأما وقد نذرت هذا النذر فأنت صاحب حجنا منذ الآن، فدبر أمر سفرنا وإقامتنا، وأنفق على ذلك من مالنا فإنّ فيه سعة. قال مسعود: ومن مالي فإن فيه سعة أيضًا. وقال بعض الحاضرين: أفلا نوذن عليّ بما آذننا به مولانا الشيخ؟ فسكت الشيخ حينًا ثم قال: لا تفعلوا؛ فإنّ عليّ لا يحج العام. وعرف علي ما كان من حديث الشيخ إلى أصحابه، ولكنه لم يتأهب للحج، ولم يزر الشيخ إلا لمأماً، ولم يخرج مع الناس لوداع القافلة، فلما كان الشيخ في بعض الطريق ذكروا له عليّاً وتخلّفه عن الحج وتقصيره في الوداع، وتلا بعض أصحاب الشيخ قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ